إن الأسرة عماد الحياة وقاعدة العمران،وأساساً لنشأة المجتمعات وقيام الحضارات ، ولذلك أحاط المولى تبارك وتعالى بنيانها بمجموعة من القواعد الثابتة والركائز الصلبة، لحمايتها مما قد يُصيبه من وهن ينتابها من ضعف أو يعتريها من تفكك، ومن هذه القواعد وتلك الركائز تشريع تعدد الزوجات.

ومن هنا نرى : أن تشريع التعدد ليس أصلاً لبناء الأسرة المسلمة، ولا قاعدة يجب التزامها على كل رجل، ولا مكرمة ينبغي أن يشتمل عليها كل بيت من المسلمين، بل هو رخصة شرعها رب العالمين ليلج إليها من تلجئه الضرورة أو تدفعه الحاجة ويلوذ بها من تضيق به حياة الزوجة الواحدة، ويقدم عليها من يجد نفسه مضطراً لارتكاب أخف الضررين وسلوك أيسر السبيلين، ومع ذلك فقد يكون سياجاً يحمي الأسرة من التصدع والانهيار، وصيانة للزوجة من الحرمان والضياع، كما أن فيه عوناً على حفظ توازن المجتمعات وتقدم الحضارات... لذا كان هذا التشريع خير دليل على واقعية التشريع الإسلامي، ومدى انسجامه مع طبيعة الإنسان البشرية، ولا ريب فهو تنزيل ممن خلق الإنسان وعلم منشأ فطرته وأسرار تكوينه، فعمل على ما يصلح ذاته ويقيم مجتمعه، فهو لم يحرم تعدد الزوجات بالطلاق، ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الإسراف في العدد وفي ظلم النساء، بل قيده بالعدد الذي تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع، ومدى استيعاب الرجال له مع اشتراط القدرة على الإنفاق عليهن واستطاعة العدل بينهن.

ولقد حاول أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وغيرهم

تلمس الثغرات في التشريع الإسلامي بغية التشهير به، وإظهاره بمظهر التخلف وعدم مسايرة التقدم البشري، لذا تجدهم قد اتخذوا من تشريع تعدد الزوجات سبيلاً للقدح في الدين والطعن على نظام الأسرة فيه. فعلى سبيل المثال يقول **أعداء الإسلام**:

- إن الإسلام هو الذي أتى بنظام تعدد الزوجات.

أن رسول الله ﷺ يرفض أن يتزوج سيدنا علي بن أبي طالب فوق ابنته.

- إن التعدد كان لضرورة اقتضتها الدعوة في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف، أما الآن فلا حاجة إلى التعدد.

- إن نظام تعدد الزوجات يترتب عليه كثرة النسل مما يؤدي إلى انتشار الفقر والبطالة والفاقة وضعف التربية، وما يترتب على ذلك من التشرد وارتكاب الجرائم.

... **ومما يؤسف له** : أن الإسلام يلقى حرباً ضروساً من أبنائه وأعدائه على حد سواء، ولو كانت الرياح الهوج التي تريد أن تعصف به مُوجهه إليه من خصومه فقط لهان الخطب وخفت حدته، ولكن عندما يضرب الإسلام من المنتمين إليه، فذالكم هو البلاء الذي يعصر القلب ويُمزق الوجدان، وصدق الشاعر :

وظلـم ذوي القربـى أشـد مـرارةً * على النفس من وقع الحسام المهند

وليس على الإنسان من جهل خبيث يطوقه ويُباعد بينه وبين لب الأشياء ويجعله يقع منها بالقشور والشكليات ضارباً صفحاً من القضايا الأصلية التي عليها مدار حياته المعنوية والأدبية... فقد ابتلي الإسلام من أتباعه بجهل عارم بأحكامه وقضاياه ومبادئه

obeikandl.com

ونظرياته، ونسوا أن الإسلام جاء ليصلح فساد الحياة ويُقوِّم معوجها ويُهيمن عليها ويخضعها لمنهج الله في كل شئونها لأنه دين يتعانق مع الفطرة ويُلبي المطالب المادية للإنسانية السوية في إنصاف واعتدال.

فقد ظهرت في عالمنا الإسلامي حركات التحرر والسفور :تُريد بها المرأة رفع ما وقع عليها من ظلم سواء أكان ذلك حقيقة أو شعوراً خاص بها ،وتسعى لنيل ما حرمت منه من حقوق «إما أن يكون الدين قد كفل لها، وإما أن تكون حقوقاً رأت غيرها من النساء نالتها، أو تسعى لنيلها بصرف النظر عن مشروعيتها.» وتبغي بحركتها المساواة مع الرجل، وفي كل ما يتمتع به من حقوق أو في أغلبها على حسب ما ترى هي لا ما يراه الدين أو تقضي به الشريعة... فقد أخذ دعاة تحرر المرأة في:

المطالبة بتحريم تعدد الزوجات، وحجتهم : « أن نظام تعدد الزوجات فيه مدعاة للنزاع الدائم بين الزوج وزوجاته، وبين الزوجات بعضهم مع بعض، كما يؤدي إلى الشقاق بين الأخوة من أمهات مختلفة.... الخ / وأن تعدد الزوجات امتهان للمرأة العصرية لأنه نظام متخلف لا يصلح إلا للمجتمعات المتخلفة، وهو لا يليق بامرأة تعيش في عصر الازدهار والتحرر / وأن في تعدد الزوجات امتهانا للمرأة بإدخال ضُرة عليها ».

المطالبة بتعدد الأزواج : فيقولون : «إن الإسلام يُبيح تعدد الزوجات، ولماذا لا يُبيح تعدد الأزواج للمرأة ؟ أليس هذا عدلاً كما أباح للرجل أن تتعدد زوجاته أن يبيح للمرأة أن يتعدد أزواجها ؟».

ومما يؤسف له قيام عدة حركات مناوئه للعقيدة الإسلامية تطالب بمنع التعدد أو تقييده، مثل الحركة التي قامت في الديار المصرية عام ١٩٤٥م... ومما يؤسف له أيضاً: أن هناك بعض الدول الإسلامية «تونس، وتركيا» تحرم في قوانينها تعدد الزوجات... كما أن هناك بعض الدول الإسلامية « العراق وسوريا ومصر »تضيق حدوده.

وقد تعرض موضوع زواج الرسول ﷺ لكثير من الغمز من ذوي المرض أو الغرض، خاصة أولئك المستشرقين الذين لا يبحثون عن حقيقة، بل إذا وجدوها تنكروا لها، لأن كل همهم تشويه الإسلام بالحق أو بالباطل، وإذا لم يسعفهم الحق فلا مندوحة لهم من الباطل يرتعون فيه ، وهم مهما أجهدوا أنفسهم لن ينالوا من الإسلام قيد أنملة، إذ في النهاية لن يحق إلا الحق، ولن يبطل إلا الباطل، يقول الحق سبحانه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (١).

فقد أخذ المستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام تشويه سيرة النبي ﷺ، فكثيراً ممن أعمى الحقد بصره بل بصيرته يقولون :

إن الرسول ﷺ أباح لنفسه ما حرم على بقية المسلمين، وهو زواجه بأكثر من الحد الأقصى لعدد الزوجات وهو أربع.

إن زواجه ﷺ من زينب بنت جحش كان نتيجة حب وقع في نفسه عند رؤيته لها وخلوته بها عند غياب زوجها، وإشارة القرآن الكريم إلى هذه العلاقة القلبية بين زينب والرسول ﷺ ، ولهذا عاتب الله رسوله على كتمان هذا الميل القلبي..... الخ.

(١) الأنبياء : آية ١٨.

إن إكثار محمد ﷺ من الزوجات دليل على شهوانيته، وأنه رجل دنيا ومتعة لا رجل آخرة وزهادة.

وبمشيئة الله وفضله: سوف نقوم بتقديم الشبهات والمزاعم لخصوم الإسلام «سواءً أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين وغيرهم، أو المنتسبين إلى الإسلام من العلمانيين ودعاة التحرر والسفور وغيرهم »حول تعدد الزوجات.

وما من شك في أن الإسلام يقتضينا أن نرد على كيد الكائدين، لا بالسباب والأباطيل كما يصنع أعداؤه، بل بالدروس والاحتكام إلى البحث العلمي، والتدليل المبين، والموازنات الكاشفة... ولا شك أن الإسلام يقتضينا أيضاً أن نكشف عن بعض مزاياه ليستبين للجاهلين من أتباعه بعض ما في دينهم من سمو وحكمة وسماحة وصلاحية للتطبيق، ومرونة في مسايرة الزمن، فيشتد حرصهم على دينهم ويعظم اعتزازهم بتشريعه، ويتسلحوا بما يقضون به على ما يوجه إلى دينهم من أكاذيب وأباطيل.

* * *

obeikandl.com